مقدمة

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى و دين الحق ليظهره على الدين كله و لو كره المشريكون و القائل : ﴿ ...وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [سورة البقرة:٢١٧] والصلاة و السلام على رسول الله صلى الله عليه و سلم معلم الناس الخير المبعوث رحمة للعالمين .

و أشهد أن لا آله الا الله وحده لا شريك له شهادة من برئ من التقليد و شرب من كؤوس التوحيد سلسبيلا .

و اشهد أن محمدًا عبده و رسوله الذى انشق له القمر و كلمه الحجر فافحم أهل الكفر و الزور و الإبتداع صلى الله عليه و سلم وعلى أصحابه الغر اليامين صلاة تدوم بدوام ملك الله.

أما بعد ،

فقد كان لانتشار الإسلام و صدق كتابه و عظمة منهجه ما لفت أنظار المشتغلين بالعلوم النظرية فى العالمين العربي و الغربي ، فانبرى كل منهم يكتب عنه ، و يؤلف حوله إما مثنيا عليه محاربا على شمائله ، و إما مغرضا يكتب عما يكنه فكره و ما وصل إليه تفكيره ، ومن عجيب الأمر هذا الكم الهائل من الكتب المؤلفه عن الإسلام و نبيه و المقالات التى دبجها أصحابها إما مدحًا أو قدحًا فمنهم من إقترب من الإسلام و فهم ما يدعوا إليه و شرح الله صدره له ، و منهم من وقف محايدًا و مع ذلك لم يستطع التخلي عن الفهم الخاطئ فى معالجة بعض أموره و قضاياه .

فكان جوستاف لوبون ممن ينطبق عليهم الوصف الأخير (الحيدة و التحامل) فكان لابد من تحقيق ما كتب ، حتى يكون هناك من ينافح عن الإسلام و نبيه صلى الله

عليه و سلم و قد وقع إختياري على كتاب (حضارة العرب) الذي ألفه (لوبون) و الذي وفقني الله لفهمه و المتابعة عنه إما مؤيدًا لما ذهب إليه و إما معارضًا لما كتب و رده على صاحبه متوخيًا السلوب المنهجي الذي لا يتعدى حدود البحث العلمي و النفع القائم على الصراحة و الوضوح .

التعريف بالمصطلحات :

أولا الحضارة :مفهوم الحضارة في اللغة . وردت في مختار الصحاح [1] من الفعل " حضر " " حضرة " الرجل قريته و فناؤه و كلمه بحضرة فلان " بمحضرة " فلان نشهد منه و (تحضر) فلان البدو و (و المُحضر) السجل و " الحاضر " هذا الباب والحاضرة ضد البادية و هي المدن و القرى و الريف والبادية ضدها يقال له فلان من أهل الحاضرة و فلان من أهل البادية و فلان حضري ، و فلان بدوي ، و فلان حاضر بموضوع كذا أي مقيم به " الحضارة " بالكسر الإقامة في المحضر و الحضور ضد الغيبة " حضر " بالكسر لغة غنة يقال حضر القاضي قال و لك؟ أنهم يقولون يحضر بالفم . قلت و في الديوان جعل هذه اللغة من باب فعل يفعل و يقال اللبن محتضر و محضر فنط إناءك أي كثير لافة و أن الجن تحضره و الكنف محضره و قوله تعالى : ﴿ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴾ [2] أي تصيبني الشياطين بسوء في القاموس المحيط [3] في مادة " حَضَر " و حضر ضد غاب "والحضرة بالكسرة إذا حضر بخير" ، الحضر و الحضرة و الحاضر و الحضارة خلاف البادية " الحضارة " الإقامة في الحضر . و هي مادة " حَضَر " في المعجم الوجيز [4] حضر الغائب حضورًا قدم و الصلاة حل وقتها و عن فلان قام مقامه في الحضور . و " حاضر " القوم جالسهم و حادثهم بما يحضره و منه فلان حسن المحاضرة و ألقى عليهم محاضرة (حضّر) الشئ أعده يقال حضّر الدواء و حضّر الدرس و حضر الأدوات اللازمة للتجارب (أحتضر)

١- الرازي مختار الصحاح ، ص ١٤١ ، ١٤٢

٢- سورة المؤمنون آيه ٩٨

٣- القاموس المحيط جـ ٢ ، ص ٦١

٤- إبراهيم مذكور ، المعجم الوجيز ، مجمع اللغة العربية ، ١٩٩٤ ، مادة " حضر "

حضره الموت . تحضرّ تخلق بأخلاق أهل الحضر و عاداتهم . (استحضره) طلب حضوره والشئ أحضره ، و فلان السائل و المعانى : تتذكرها (الحاضر) و المقيم فى الحضر و يقال فلان حاضر الجواب سريع الإتيان به و حاضر البديهة سريع الخاطر و " الحضرة " خلاف البادية و هى المدن و القرى و الريف و العاصمة و حاضرة الشيء القريبة منه و في القرآن الكريم ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ ...﴾ [1] والحاضرة : الإقامة فى الحضر و هى ضد البداوة و مظاهر الرقي العلمي و الإجتماعي فى الحضر . و "الحضر" المدن والقرى و الريف .

مفهوم الحضارة فى الإصلاح:

يقول (ألبرت سفنسر) فى كتابه (فلسفة الحضارة) { إن الحضارة بصفة عامة هى : " التقدم الروحي و المادي للأفراد و الجماهير على السواء " و هذا يعنى أن الحضارة نشاط إنسانى إبداعى يسير فى خطين متوازيين فى وقت واحد وهدفهما فى المحصلة النهائية هو الارتقاء بالإنسان بوصفه يمثل كلاً متكاملاً لا إنفصال فيه بين جانب المادة و جانب الروح }[1] .

وعلى هذا فالحضارة : [نوع من أنواع الحياة البشرية المتقدمة عمادها بصفة أساسية معيشة الحضر و ما تتطلبه من تنظيم و ما تسفر عنه من نتائج و تدابير تتمثل فى الكتابة و التشريع و نظم الحكم و أساليب التجارة و التدين] .

والحضارة على الأساس المتقدم لا يمكن تصورها إلاّ فى رحاب المعدن فهو تحديد يركز على الجانب المادي للحضارة . و منهم من يركز على الجانب الروحى فيقول : فالحضارة فى جوهرها تقوم على الجانب البشري و على الأشياء المادية و الناس المتحضرين و غير المتحضرين وفقا لبعض مزاياهم القلبية و الروحية ، و تدل كلمة الحضارة على وجود عقلية روحية كما تدل كلمة صحة على جودة طبيعية أو جسدية و منهم أن يركز

١- سورة الأعراف ، اية ١٦٣

٢- مجلة الأزهر " ثمار من قاعة الإمام محمد عبده " ١٤١٨ هـ

على الجانب المادي و المعنوي معًا و يقول الدكتور محمد حسنين البحلح [الحضارة هى التقدم الروحي و المادي للأفراد و الجماهير على حد سواء ثم يركز على الجانب الأخلاقى أكثر . يقول و لما بحثت فى ماهية الحضارة و طبيعتها تبين لي أن الحضارة فى جوهرها أخلاقية] . [1] .

مفهوم الحضارة الإسلامية :

يعنى مفهوم الحضارة فى نظر الإسلام [تقدم المجتمع من الناحية المادية والمعنوية فى جميع نواحى الحياة الإنسانية بروح خيرة و نحو غاية خيرة].

و هذا يعني أن أي تقدم فى أي ناحية لا يدخل فى الحضارة الإسلامية ما لم يتم بروح خيرة أي يبتغي به وجه الله عز وجل و لتحقيق غاية خيرة . و لو كان فى التقدم الروحى . و لو أن انسانا يقضى ليله و نهاره فى عبادة متواصلة و لم يكن فى عبادته مخلصا بأن كان فى ذلك مرائيا أو منافقا لا يعد متقدمًا روحيًا بل لا يعد عمله عملاً روحيًا على الإطلاق .

فمن سمات الحضارة الإسلامية أن يتم التقدم و التحضر بروح خيرة ، فالتقدم بغير هذه الروح يؤدي فى النهاية الى إنهيار الحضارة و إلى تعاسة البشرية فى النهاية شأن الحضارات البالية التى قامت على أسس مادية و لغات مادية للمتعة الحسية فقط و ثمة ميزة أخرى للحضارة الإسلامية و هى إستخدام الروح الخيرة فى دفع عجلة التقدم في الميادين المختلفة لأن القوة الروحية طاقة جبارة فإذا دخلت فى النفوس و رسخت فيها تحولت إلى طاقة محركة تدفع عجلة التقدم فى جميع مناحيها بسرعة و لكن لا يمكن تكوين هذه الروح الخيرة فى نفوس إلاّ ببناء الأفراد و المجتمع بالتربية الإسلامية

عند ذلك يصبح الأفراد الذين يحملون هذه الروح سادة الحضارة لا عبيدها ثم يتحركون بعجلاتها و هم فى مأمن من هذا التحرك لأنهم يتحركون على بصيرة و إلى غاية محددة تنتهى بهم إلى الرفاهية و السعادة ، من أجل رفع مستوى الإنسانية ، و تعميم الخير

١- حولية كلية أصول الدين بالقاهرة ، العدد العاشر ، ١٩٩٣ م، ص ٢٩٥

على البشرية ، ولذلك تكون الحضارة التي يقصدها الدين الإسلامى هى أداة السعادة والرفاهية القائمة على الخير.

و يمكننا إجمال الحضارة الإسلامية فى الآتى

أولاً: العناصر العنوية : وتشمل العناصر الإعتقادية والروحية والأخلاقية والعلمية و الإبداعية.

ثانيا: العناصر المادية : وتشمل التقدم الزراعي و الصناعي و التجاري والعمراني أي المحسوسات والماديات التى يقوم الإنسان بصناعتها بيديه و يتدخل فى تعديلها .

ثالثا : العناصر التنظيمية والتشريعية التى تنظم حياة الفرد و المجتمع والدولة مرتبطًا بجميع جوانب الحضارة ، كما تشمل نظم الدولة السياسية و نظام الأسرة و المجتمع [1].

و كل هذه العناصر السابقة من منطلق التشريع الإسلامى الذى أنزله الله سبحانه و تعالى على رسوله الكريم فى القرآن الكريم و كذلك السنة النبوية المشرفة.

ثانيا : العرب : بلسان العرب [2]:

العرب و العرب ، جيل من الناس معروف ، خلاف العجم ، و هما واحد مثل العجم و العجم ، مؤنث و تصغيره بغير هاء نادر و العريب تصغير العرب . والعرب العاربة : هم الخلص منهم ، و متعربة و مستعربة : دخلاء ليسو بخلص . والعربى منسوب إلى العرب و أن لم يكن بدويا و الأعرابى : البدوي ، و هم الأعراب ، و الأعاريب : جمعا للعرب . و جاء فى الشعر الفصيح و الأعاريب وقيل ليس الأعراب جمعا للعرب كما كان الأنباط جمعا لنبط ، و إنما العرب

١- حولية كلية أصول الدين ، العدد العاشر ، ص ٢٩٧ ، ٢٩٨

٢- ابن منظور ، لسان العرب ، م٤ ، دار المعارف ، مادة " عرب " ص ٢٨٦٣ ــ ٢٨٦٨.

اسم جنس والنسب إلى الأعراب : أعرابي ، قال سيباوي : إنما قيل في النسب من الأعراب أعرابي ، وحكا الأزهري : رجل عربي إذا كان نسبه في العرب ثابتا، وإن لم يكن فصيحا وجمعه العرب ، ورجل معرب إذا كان فصيحًا ، وإن كان عجمي النسب . ورجل أعرابي ، بالألف ، إذا كان بدويا صاحب نجعة وانتواء وارتياد للكلاء ، وتتبع لمساقط الغيث ، وسواء كان من العرب أو من مواليهم . ويجمع الأعرابي على الأعراب والأعاريب والأعرابي إذا قيل له يا عربي فرح بذلك وبش له والعربي إذا قيل له يا أعرابي غضب له . فمن نزل البادية أو جاور البادين وظعن بظعنهم ، وانتمى بانتمائهم فهم أعراب ، ومن نزل بلاد الريف واستوطن المدن والقرى العربية وغيرها ممن ينتمي إلى العرب : فهم عروب ، وإن لم يكونوا فصحاء وقول الله عز وجل : ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا ...﴾ [1] فهؤلاء قوم من بوادي العرب قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم المدينه طمعا في الصدقات ، لا رغبة في الإسلام فسماهم الله تعالى الأعراب ، ومثلهم الدين ذكرهم الله في سورة التوبة ﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا ...﴾ [2] وقال الأزهري : والذي لا يفرق بين العرب والعربي والأعرابي ربما تحامل على العرب مما يتأوله في هذه الآية وهو لا يميز بين العرب والأعراب ، ولا يجوز أن يقال للمهاجرين والأنصار وأعراب إنما هم عرب لأنهم استوطنوا القرى العربية ، وسكنوا المدن سواء منهم الناشيء بالبدو ثم استوطن القرى ، والناشيء بمكة ثم هاجر إلى المدينة ، فإن لحقت طائفة منهم بأهل البدو بعد هجرتهم واقتنوا نعمًا ، ورعوا مساقط الغيث بعدما كانوا حاضرة أو مهاجرة ، وقيل : قد تعربوا أي صاروا أعرابًا ، بعدما كانوا عَرَبًا والأعراب ساكنوا البادية من العرب الذين لا يقيمون في الأمصار ، ولا يدخلونها

١- سورة الحجرات ، آية ١٤
٢- سورة التوبة ، آية ٩٧

إلاَّ لحاجة ، و في الحديث الشريف : " ثلاث من الكبائر ، منهم التعرب بعد الهجرة " و هو أن يعود إلى البادية و يقيم مع الأعراب ، بعد أن كان مهاجرًا وكانوا يعتبرونه كالمرتد

و العربية : هي لغة العرب . و اختلف الناس في العرب لِمَ سُمُّوا عرباً . فقال بعضهم : أول من أنطق الله لسانه بلغة العرب يعرب بن قحطان ، و هو اليمن كلهم ، و هو العرب العاربة و نشأ إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام معهم فهو و أولاده العرب المستعربة (العرب المستعربة و روى عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال : " خمسة أنبياء من العرب و هم : محمد و إسماعيل و شعيب و صالح و هود و صلوات الله عليهم) وهذا يدل على أن لسان العرب قديم ، و هؤلاء الأنبياء كانوا يسكنون بلاد العرب

و العرب المستعربة هم الذين دخلوا فيهم بعد فستعربوا . قال الأزهري : المستعربة عندي قوم من العجم دخلوا في العرب ، فتكلموا بلسانهم و حكوا هيئاتهم وليسوا بصرحاء فيهم

وَعَرَّبَه : أي علمه العربية .

وفي المعجم الوجيز [1] . " عَرُب " عروب و عروبه و عروبية فصح . (أعرب) الكلام بنية و طبق عليه قواعد النحو و بمراده أفصح به و لن يوارب و عن حاجته أبان

(**عـــرَّب**) : الاسم الأعجمي : نطق به على مناهج العرب . (**تعرب**) : تشبه بالعرب و أقام بالبادية .

(**استعرب**) : صار دخيلًا في العرب و جعل نفسه منهم .

(**الأعراب**) : من العرب سكان البادية خاصة يتتبعون مساقط الغيث و منابت الكلأ . و الواحد أعرابي .

(**التعريب**) : صوغ الكلمة عند نقلها بلفظها الأجنبي إلى اللغة العربية.

١- المعجم الوجيز ، ص ٤١١ ، ٤١٢ .

(**العاربة**) : عرب عاربة صرحاء حلص و قبائل بادت و درست آثارهم كعاد وثمود و هم العرب البائدة .

(**العرب**) : أمة من الناس سامية الأصل كان منشؤها شبه جزيرة العرب . ويقال رجل عربي و لسان عربي .

(**العرباء**) :عرب عرباء صرحاء حلص .

(**العُروب**): المرأة المتحببة إلى زوجها ، وجمعها (عُرُب) ، و في القرآن الكريم ﴿ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ۝ عُرُبًا أَتْرَابًا ۝ ﴾ [1]

(**المتعربة**) : من العرب بنوا قحطان بن عامر الدين نطقوا بلسان العاربة وسكنوا ديارهم

(**المستعربة**) : من العرب أولاد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام .

ومثل ذلك في كلا من مختار الصحاح [2]، المعجم الوسيط [3] بنفس المعاني .

العرب في الإصطلاح :

اختلف اللغويون و المؤرخون في تعليل تسمية العرب بهذا الاسم ، فقيل لأنهم لم يزالوا موسومين بين الأمم بالبيان في الكلام و الفصاحة في المنطق و الدلاقة في اللسان والأعراب المقصود فهو من أعرب إذا أبان عما في ضميره ، و منه قوله صلى الله عليه و سلم " و الثيب تعرب عن نفسها " ، و قيل نسبة إلى " يعرب بن قحطان " جد العرب العاربة فإنه أول من نطق بالعربية الفصحة و أخذها عنهم أهل اليمن . و قيل نسبة إلى "عربه" بلدة بتهامة الحجاز قرب المدينة نشأ فيها أولاد إسماعيل ، و أقاموا فيها قريش وأسلافهم فنسبوا اليها ، و يرى آخرون أن المدلول الحقيقي لفظ عرب أنه هو صحراء . [4] .

١- سورة الواقعة ، اية ٣٦ ، ٣٧.

٢- مختار الصحاح للرازي ، تحقيق محمود فاطر ، القاهرة ، ١٩٢٦ ، مادة " عرب "

٣- المعجم الوسيط ، جـ ٢ ، مادة " عرب " ، ص ٦١٢

٤- عبد الفتاح شحاتة ، تاريخ العرب و عصر الرسول ، ط ٣ ، ١٩٥٤ ، ص ١٥ ــ ٢٠

و أذا أطلق هذا اللفظ قبل الإسلام فيراد به . سكان شبه جزيرة العرب فقط وهذه اللفظة فى التاريخ القديم يراد لفظ " بدو " و لما تحضر بعض القبائل قديمًا و أقاموا فى مدن اليمن و الحجاز ، و حوران و غيرها لم يعد " العرب " محسورًا فى " البدو " فتنوع معناه كما تنوع مسماه ، فاضطروا إلى كلمات تميز بين الحالين ، فأستعملوا لفظ " الحضر " لأهل المدن و " البدو " لأهل البادية [1] .

و بلاد العرب فى الجزء الجنوبي من أسيا ، و هى شبه جزيرة يحيط بها الماء من ثلاث جهات : البحر الأحمر و المحيط الهندي و الخليج الفارسي ، و يطلق على بلادهم اسم جزيرة العرب .

و بلاد العرب فى مجموعها صحراء ، و لكنها ليست ككل الصحاري التي لا زرع فيها و لا ماء .

و مما يلاحظ عليها طبيعة سطحها ، فهو مختلف الأجزاء ، فبعضها مغطى بالكثبان الرملية ، و البعض الآخر بالجبال الأكام ، كما أن بعضهم غور منخفض و بعضه الأخر مرتفع [2] و تنقسم من الناحية الجغرافية إلى :

١ ـ **تهامة:** و هى الأرض الواطئة الممتدة بمحاذاة الساحل البحر الأحمر من ينبع إلى نجران فى اليمن .

٢ ـ **الحجاز** : و يقع شمال اليمن و شرق تهامة .

٣ ـ **نجد** : و يمتد بين اليمن جنوبًا و بادية السماوة شمالاً و العروض و أطراف العراق و سمي نجد لإرتفاع أرضه.

٤ ـ **اليمن** : ويمتد من نجد إلى المحيط الهندى جنوبًا والبحر الأحمر غربًا . ويتصل به من الشرق حضرموت و الشجر و عمان ، وكانت بلاد اليمن و حضرموت فى الجنوب ميدانا للحروب الداخلية و الفتن الأهلية .

١- د / محمود محمد رسلان ، فجر الدعوة الإسلامى ، ط ٢ ، ١٩٩٢ ، ص ١٩.

٢- حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الإسلام جـ ١ ، ط ٤ مكتبة النهضة العربية ، ١٩٩٦ ، ص ٩.

٥ ـ **العروض** : ويشمل اليمامة وعمان والبحرين وسمي عروضا لإعتراضه بيت اليمن ونجد والعراق . وكانت عمان والبحرين ، منفصلتين عن سائر بلاد العرب بأمرين وأحدهما طبيعي وهو تلك المفاوز والقراري الواسعة والصحاري الجدبة القفرة التي حالت بينها وبين سائر البلاد والأمر السياسي وهو خضوعها لسيادة الفرس [١].

ثالثا : *الإستشراق*:

الإستشراق في اللغة : من " شَرُقَ " شرقت الشمس تشرق شروقًا . طلعت . واسم الموضوع الشرق . [٢].

الإستشراق في الإصطلاح :

يراد بالإستشراق دراسة كل شيء عن الشرق . لغاته القديمة ولهجاته الحديثة وتاريخه وأساطيره ، وطباعه وعاداته ، ومعارفه ، وكل شئ يتصل به من الناس والحيوان والنبات والمناخ والتربية ومكوناته الشخصية ، وعوامل الفرقة

ويراد بالمستشرقين أولئك الذين لهم اهتمامات حادة بهذه الدراسات [٣].

" والمستشرق عالم غربي يهتم بالدراسات الشرقية " ولابد أن يتوافر في هذا المستشرق الشروط الواجب توافرها في العالم المتخصص المتعمق حتى يتسع ويفيد البشرية والحضارة بإنتاجه العلمي ولا بد أن ينتمي هذا العالم إلى الغرب ، ولو كان هذا العالم يابانيًا أو إندونسيا أو هنديًا لما استحق أن يوصف بالمستشرق لأنه شرقي بحكم بيئته ومولده وحضارته [٤]. وقد تكون الدراسات الشرقية التي يقوم بها المستشرق تاريخًا أو فلسفة أو آثارًا أو اقتصادًا ولكنها ترتبط بالشرق ، وليس من الضروري أن يرحل هذا المستشرق إلى الشرق ليعيش فيه أو ليتطبع انطباعه أو حضارته ، فقد يقوم بدراسته

١- حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الإسلام جـ ١ ، ط ٤ مكتبة النهضة العربية ، ١٩٩٦ ، ص ٩ ، ١٠

٢- لسان العرب ، م ٤ مادة " شرق " ص ٢٢٤٤ ـ ٢٢٤٨

٣- عبد المتعال الجبري ، السيرة النبوية ، وأوهام المستشرقين ، ص ٩

٤- المرجع السابق ، ص ٢٥

في جامعته العربية أو في وطنه و إن كان رحيله إلى الشرق يجعل دراسته أكثر فائدة وأقرب إلى الواقعية و الحقيقة . وليس من الضروري أيضًا أن يتحدث باللغات الشرق وإن كان الإمام بها أو إجادتها يعنيه كثيرًا في دراسته و أبحاثه و حينما بدأ الإستشراق كان غالبًا هواية يهواها بعض الأوربيين الذين حدبهم الشرق بسحره و أسراره و مميزاته الحضارية الخاصة . واقترن الإستشراق أحيانًا بحب الرحلات إلى الشرق و أصبحت كتب هؤلاء النفر من المستشرقين أقرب إلى الوضعية أو كتب الرحلات فأهتم المستشرق بحشد مؤلفاته بكل ما هو غريب أو عجيب مما يثير تشويق الأوروبي و يدفعه للإطلاع على هذه الصورة من الحياة التي تخالف صورة حياته المألوفة . كما اتجه بعض الأوروبيين أيضًا نحو الإستشراق بدافع من التعصب الديني أو التعصب القومي [1] .

ولكن الإستشرق في العصر الحديث قد أصبح حرفه و اتخذ الطابع العلمي المنظم و أصبح له قواعده و أسسه و المنهجية ، نتيجة التطور العلمي ، و إختلاف الظروف السياسية في العالم و نهضة الشرق . و تطور العلاقات بين الشرق و الغرب ، ولذا أصبح المستشرق في القرن العشرين يختلف تمامًا عن المستشرق في العصور الوسطى أو في مطلع العصور الحديثة . و هكذا خضع تحديد مفهوم " المستشرق " لسنة الحياة و التطور ولإختلاف ظروف الزمان و المكان ، ولتطور العلاقات الدولية . وللتقدم العلمي والحضاري.[2] .

وقد تسرب الإسلام إلى أوروبا في نهايات القرن السابع الميلادي " الأول الهجري " عن طريق فتح بلاد الأندلس التي يطلق عليها الآن " أسبانيا و البرتغال " وكان المسلمون قد فتحوا مساجدهم و مجالسهم العلمية لكل من أراد العلم ، والعلم في عُرف المسلمين الأوائل كان يعنى الشرعية و العربية و الإجتماعية و الكونية و التقنية ، و لا يضنون بالفنون الحضارية على أحد من النصارى أو اليهود أو غيرهم من البشر ، باعتبار الإسلام

١- علي حسني الخربوطلي ، المرجع السابق ص ٢٦.
١- نفسه ، ص ٢٦

رسالة الإرتقاء بالإنسان إلى مستوى أفضل عقليًا و ماديًا . فكان يفد إلى الأندلس كثير من الشباب من كافة أنحاء أوروبا لينهالوا من علوم المسلمين [1] .

و قد استهوت علوم المسلمين و أخلاقهم و عادتهم كثيرًا من هؤلاء الوافدين إلى الإسلام فخشيت الكنيسة الغربية على مستقبلها فعملت على الحيلولة بين الشباب و بين بلاد الأندلس و جامعاتها . و لذلك عمدت إلى إعداد طائفة من الرهبان و القساوسة لدراسة العلوم الشرقية يعنى الإسلامية و غيرها مما يدرسه أهل الشرق – حتى يمكنهم جذب الشباب إلى حلقات مماثلة يكون زمامها الكنيسة . و يمكن من خلالها تشويه صورة الإسلام لدى الدارسين ، و من ثم كان الإرتباط الأول بين العملية الإستشراقية و بين عملية محاربة الإسلام بالكتابة و المحاضرة و القصة و الأغنية و سائر وسائل الإعلام . و لذلك أنشئت الكراسى العلمية لتعليم اللغة العربية فى أوربا و تمت ترجمة القرآن الكريم إلى الاتينية للإنطلاق منه ضد الإسلام و دراسة العلوم الإسلامية و الشرقية [2] .

و نستنتج مما سبق :

أولًا : أن الإستشراق علم يحاول أصحابه دراسة الشرق و كل ما يتعلق به من لغات و آداب و معتقدات و علوم و فنون و ما شاكلها .

ثانيًا : أن المعنى الأصلي لكلمة ((استشرق)) صار شرقيًا و أن صيغة ((المستشرق)) علميا " تطلق على ذلك الذى يشتغل بالعقليات الشرقية عامة و السامية خاصة و العربية بوجه أخص [3].

ثالثًا : أن الإستشراق علم لا يقتصر على دراسة غير الشرقيين فحسب بل أثر الشرق فى تكوين البناء الحضاري و تطوره فى العالم بأسره .

رابعًا: أن الإستشراق علم يشمل طوائف مختلفة تعمل فى مجال الدراسات الشرقية من علوم و آداب تتعلق بالشرق كله .

١- نفسه ، ص ٢٦.

٢- الخربوطلي ، المرجع السابق ، ص ٢٧.

٣- أحمد سمايلوفتش ، فلسفة الإستشراق ، دار المعارف ، ١٩٨٠ ، ص ٣٠ ، ٣١.

خامسًا أن الإستشراق علم قائم بذاته له خصائصه التى تدل على إستقلاله و أن أصحابه قد شغلوا فترة طويلة دون أن يهتم أحد بدراستهم دراسة علمية واعية إلاَّ فى أحيان نادرة فى معرض النقد و التقريظ .

سادسًا . أن الإستشراق مهنة أكثر منه علمًا و أنه أقرب منه إلى دائرة التبشير من دائرة العلم و هنا كان الإسلام بيت القصيد للهجوم و النيل منه .

سابعًا : أن الإستشراق فى المفهوم العلمي علم يضم فى رحابه الكتاب الغربيين الذين كتبوا عن الفكر الإسلامى و حضارته ومنهم القدماء و المحدثون و منهم المادحون و المنتقدون .

ثامنًا : أن المستشرق عالم غربي يهتم بالدراسات الشرقية على الإطلاق .

تاسعًا : ان لفظة ((استشرق)) مولودة و مترحمة عن الشرق أو الشرقية .

عاشرًا : أن الإستشراق كمفهوم علمي حركة علمية تعني بدراسة الشرق بصفة عامة تاريخه و حضارته و علومه و أهله و أديانه [1] .

و للمستشرقين دوافع عديدة للقيام بجدية بهذه الحركة الغربية الإستشراقية فى بلاد الشرق الإسلامي بصفة خاصة و الشرق بصفة عامة منها :

أولًا : الدوافع النفسية : و هى دوافع تكمن فى طبيعة الإنسان نفسها من حيث ما يكون كائن حي ، ومخلوق مفكر ، له خصائصه وآماله وأحلامه و أطماعه و أهدافه و نزواته و احساساته ، كل هذا دفعه الى معرفة أخبار والآخرين ومعتقداتهم و عاداتهم و أساليبهم فى الحياة ، فارتحل الرجل الغربي إلى الشرق لتحقيق الدوافع [2] .

ثانيا: الدوافع التاريخية: لقد كانت العلاقة بين الشرق والغرب علاقة صراع متواصل ملتهبة تارة ، وخامدة تارة . و تطورت بعد إنطلاق الإسلام و اتساع

١- مصايلوفتش ، المرجع السابق ، ص ٢٧

٢- مصايلوفتش ، المرجع السابق ، ص ٤٠ – ٤٢

أراضيه وإرتقاء المسلمين فأصبح صراعًا بالسلاح بقدر ما كان بالأفكار وبعد أن أصبح للإسلام أثر كبير فى العالم ، اضطر علماء الغرب إلى دراسة الإسلام و البحث فى كل ما يتعلق به لفهم مظاهره و أحداثه المعجزة ، وعلى ذلك فالإستشراق قد ولد فى أحضان الواقع التاريخي و أوجهه [1].

ثالثًا : **الدوافع الإقتصادية** : لقد كان للدوافع الإقتصادية المتمثلة فى التجارة والتماس سبل العيش عبر الأراضي والبحار أثر كبير فى حركة الاستشراق حيث كان العالم الإسلامى مجالًا اقتصاديًا ذا أهمية قصوى بالنسبة لعدد كبير من التجار الأوروبيين و تبع ذلك بالضرورة عناية بدراسة علومه و ثقافته و فلسفته [2].

رابعا : **الدوافع الأيديولوجية** : كان للدوافع الفكرية وانتشار الأفكار النفعية والبحث عن المصالح الخاصة أثر كبير فى خلق حركة الإستشراق واستقرارها فى الشرق الإسلامى [3].

خامسًا : **الدوافع الدينية** : كان للإختلاف الدينى بين الشرق و الغرب أثرًا كبير فى نشأة الإستشراق و خاصة بعد انتشار الدين الإسلامى و سيطرته على العالم فى العصور الوسطى ، مما دفع البابوية فى روما إلى إتخاذ موقف حاد وحاد ضد الإسلام و المسلمين و محاولة زعزعة عقيدة المسلمين و تشكيكهم فى دينهم وخاصة بعد فشل الحروب الصليبية فى الاستيلاء على الشرق الإسلامى و تحقيق أهداف البابوية والغرب الأوروبى، فكانت حركة التنشير و إرسال المبشرين المسيحيين لتحويل أبناء الشرق إلى المسيحية ، ثم حركة الإستشراق و دراسة علوم الشرق ولغته و حضارته [4].

١- نفسه ، ص ٤٣ – ٤٥.
٢- نفسه ، ص ٤٥ ، ٤٦
٣- سميلوفتش ، المرجع السابق ، ص ٤٦ – ٤٨
٤- نفسه ، ص ٤٨ – ٥٠

سادسًا الدوافع الإستعمارية وجاءت هذه الدوافع من منطلق ضرورة السيطرة على بلاد الشرق لتحقيق الأغراض الكنيسية والغربية من التبشير والاستشراق عن طريق حياته و مده بالمال والسلطان . ولذلك جاء الإستعمار في نهاية كل هذه الدوافع بعد أن فشلت كل الطرق و الوسائل السلمية في تحقيق أعراض الغرب [1] .

وعلى أية حال فقد تمثلت مقاصد المستشرقين في معرفة اللغة العبرية عن طريق اللغة العربية . ولذلك لا نجد مستشرقًا لا يعرف هاتين اللغتين . و من ناحية ثانية تشكيك المسلمين في دينهم و زعزعة عقيدة المسلمين [2] و قد مر الإستشراق بأطوار كثيرة منها طور التكوين . وطور التقدم . و طور الإنطلاق . حتى وصل إلى الطور المعاصر في العصر الحديث [3] خلال دراسات هؤلاء المستشرقين و موقفهم من الإسلام بدأ واضحًا أنهم ليسوا ليسوا جميعًا على وتيرة واحدة في موقفهم من الإسلام و المسلمين . فهناك فئة منهم من المنصفين الذين اعتنقوا الدين الإسلامي و هناك من المنصفين ولكنهم لم يعتنقوا الإسلام وهناك فئة ثالثة و هم المعادين للدين الإسلامي أو المجحفون الذين دفعتهم عداوتهم للإسلام إلى اللجوء إلى الطعن في الإسلام و نبيه و كتابه [4] .

وفي نهاية المطاف فقد ترك الاستشراق الكثير من الآثار السلبية و الإيجابية في المجتمعات الإسلامية في المجال الديني و الإجتماعي و الإقتصادي و الثقافي و الفكري والعلمي [5] .

١- نفسه ، ص ٥٠ ــ ٥١

٢- محمد عزت الطهطاوى ، التبشير و الإستشراق ، القاهرة ، ١٩٧٧ ، ص ٣٦.

٣- أنظر التفصيلات في : د / عبد الله سمك ، الإستشراق بين الجحود و الإنصاف ، القاهرة، ١٩٩٢ ص ١٣ - ٢٢ ، د /عبد الله عبد الحي، التبشير والإستشراق خططا وتطبيقا، ط ١ دار الطباعة المحمدية، ١٩٩٣ ، ص ٢٢ ، ٣٢.

٤- أنظر التفصيلات في : د / على شاهين ، دراسات في الإستشراق ، ط ١ ، دار الطباعة المحمدية ١٩٩٢ ، ص ٧٣ ــ ١٢٣

٥- أنظر التفصيلات في : د / محمد خليفة حسن ، آثار الفكر الإستشراقي في المجتمعات الإسلامية ط ١ دار عين للنشر ، ١٩٩٧.

رابعا : جوستاف لوبون :

الدكتور جوستاف لوبون طبيب و اجتماعى مربي وقف نفسه على خدمة العلم وتقرير حقائقه حتى تجاوز عمره الثمانين . ولد فى بلدة نوجان لى زيرو سنة ١٨٤١ م وتولى فى حرب السبعين رئاسة أطباء فرقة التنقلات العسكرية المتحركة . و فى سنة ١٨٨٤ م سافر الى الهند مكلفًا من الحكومة بمهمة درس هندسة الآثار البودية . و ساح فى أفكار أخرى منها هذا الشرق الإسلامى .

و رغم أن جوستاف لوبون طبيبًا إلاَّ أنه عني بالتاريخ للحضارة الشرقية . فله فى ذلك كتب و مؤلفات منها : آثار الحضارة العربية ، و حضارة العرب فى الأندلس وله كذلك بالحضارات الأولى .

- حضارات الهند .
- آثار الهند .
- رحلة إلى جبال نتراس
- رحلة إلى نذال .
- روح السياسة .
- روح التربية .
- جوامع الكلم العصرية .
- أمس و غد.
- الثورة الفرنسية.
- النتائج الأولى للحرب.
- أسلوب التخطيط والآلات المدونة .
- التعاليم النفسية للحرب الأوروبية .
- الإنسان و الجماعات
- تطور الأمم .

- روح الإشتراكية .
- أسلوب الخطبط الفرعوني .
- أصول الحضارة الفارسية.
- مذكرات في الطبيعة .
- حياة الحقائق .
- دخان التبغ " بحث كيماوي " .
- أبحاث تشريحية و رياضية في سر تطور حجم الجمجمة
- تطور المادة .
- تطور القوى .
- بحث في الأمراض التناسلية الدولية .
- علم الصحة العمل للجندي و الجرحى .
- الحياة فسيولوجية بشرية .
- الموت الظاهري و العروض قبل الموت .
- فسيولوجيا أصل البشر و أهم الكائنات الحية .
- فلسفة التاريخ .
- الآراء و المعتقدات .
- روح الإجتماع .
- اليهود في تاريخ الحضارات الأولى .
- السنن النفسية لتطور الأمم [1].

و يعتمد لوبون في تأليفه لهذه المؤلفات على ما لاحظه في رحلاته و ترصده . و من تلك الكتب على الخصوص يستنبط على ما بدأ له من سنن الإجتماع فيضع سنة ١٨٩٤ م كتاب السنن النفسية لتطور الأمم ، ثم كتاب روح الجماعات سنة ١٨٩٥ . و يعد لوبون

١- جوستاف لوبون ، مقدمة الحضارات الأولى ، ترجمة محمد صادق رستم ، القاهرة ، ١٣٤١ هـ

محددًا في علم النفس و الإجتماع و إمامًا و موجهًا إليهما . فعالج جميع الموضوعات التى تناولها بدقة . فوصل إلى الحقائق الرائعة . فظهر فى كل ما كتب عبقريًا مبتكرًا حر التفكير . مستقلًا لبقًا إلى الغاية . و لذلك كان من الصواب أن نقول ان لوبون أعظم عالم نفسي فرنسي فى الوقت الحاضر بما تزوع به من صبر و ما اتفق له من بصيرة نقد روح العصر [1].

النقد فى الاصطلاح : مأخوذ من نقد الكلام يقال نقد الكلام ناقشه و هو من نقده الشعر و نقاده و انتقد الشعر على قائله . وهذا معنى معهود عند العرب استعمله المحدثون فى المهمة التى تصدروا لها فى دراسة الأحاديث و ناقلها [2].

ويختلف التعريف الاصطلاحى للنقد تبعًا للمجال المستخدم فيه . إذ أن أنواع النقد تعددت لتعدد مجالاته . فهناك النقد الأدبي . الفني . العلمي . و الرياضي ..... إلى غير ذلك من أنواع النقد الذى ينبع جميعها من منبع واحد و هو " تمييز الجيد من الردئ " و ليس أدل على ذلك مما ذكره الدكتور محمد السعدي فرهود فى تعريف النقد الأدبي بأنه تمييز الأدب أو تمييز النص الأدبي... فهو لا يخرج عن أمرين : التحليل و التقويم [3].

خامساً : مصطلح الميزان :

الميزان فى اللغة : و تجمع على موازين : و هو آلة يوزن بها الشئ و يعرف مقداره بطريقة حسابية كالجمع و الضرب [4] وفى القاموس المحيط : الميزان و العدل و المقدار

١- جوستاف لوبون ، السنن النفسية لتطور الأمم.

٢- أحمد محمد نور يوسف ، كتاب حجى بين معين و كتابه التاريخ دراسة و ترتيب و تحقيق ، حـ١ ، ط١ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ص ٥ ، ٦.

٣- د / ياسر أبو شبانة : جهود علماء المسلمين فى نقد الكتاب المقدس من القرآن الأول حتى القرن السابع الهجرى(عرض و نقد) ، رسالة دكتوراه غير منشورة بكلية أصول الدين بالمنصورة ، ٢٠٠٠ م ص٣

٤- لويس المعلوف ، المنجد فى اللغة و الأدب و العلوم.

وارنه عادله و قابله و حازاه [1]. و يعرف أيضا بانه العدل و القسط فى الأحكام والمعاملات. و هو الشريعة التى يتناصف بها الناس و بها يقوم العدل بينهم و الميزان [2].

تعريف الميزان فى الإصطلاح :

يعرف الميزان بانه الآلة المعروفة التى يوزن بها الأثقال و المحسوسات .

و فى المعنويات هو الذى توزن به أعمال العباد من خير و شر و قبيح و حسن و مثوبة و ذنب .

ويقول المرحوم الشيخ حسنين مخلوف فى تفسير ﴿...وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ﴾ [سورة الرحمن:من الآية ٧] شرع العدل أمر به ليستقيم أمر العالم أو خلق الآلة المعروفة التى تعرف بها مقادير الأشياء ليتوصل بها الناس فى الأرض إلى الإنصاف فى المعاملات و فى قوله تعالى ﴿ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴾ [سورة الرحمن:٨] قال : أي لئلا تتجاوزوا الحق فيه ، و قال في : ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ ...﴾ [سورة الرحمن:٩] أى قوموا وزنكم بالعدل . المراد حث الناس على مراعاته فى جميع أقواله و أفعاله ﴿...وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ﴾ [سورة الرحمن:٩] أى لا تنقصوه فإن من حقه أن يسوى فلقد أمر الله تعالى " بالتسوية " و نهى عن الطغيان فيه الذى هو إعتداء و زيادة عن الخسران فيه الذى تطفيف و نقصان و كلاهما ظلمة ... إلخ [3].

سادسًا : الدعوة فى اللغة :

جاء فى لسان العرب فى مادة " دعا " دعا الرجل دعوًا ودعاه ناداه و الاسم الدعوة ودعوت فلان صحت به واستدعيته و دعوة شهادة أن لا إله إلا الله ، وتداعى القوم دعا

١- الفيروز أبادى ، القاموس المحيط ، ص ٢٧٥.

٢- د / احمد محمد صبرة ، الكيل و الميزان فى القرآن الكريم ، رسالة دكتوراه غير منشورة بكلية اصول الدين بالمنصورة ص ٤١

٣- جوستاف لوبون ، تامنن النفسية لتطوير الأمم

بعضهم بعضا حتى يجتمعون ، والدعاة قوم يدعون إلى هدى أو ضلال ، ورجل داعي إذا كان يدعو الناس إلى دين ، والنبى داعى الله وكذلك المؤذن [1] .

وفى مختار الصحاح مادة " دعا " الدعوة إلى الطعام وهما مصدران والدعوة بالكسر والنصب وتداعت الحيطان أى تهدمت ودعاه صاح به [2] وفى القاموس المحيط الدعاة الرغبة إلى الله يقال دعا دعاة وتداعوا عليه تجمعوا ودعاه ساقه والنبى دعى اللهو ويطلقه على المؤذن ودعوته سميته [3] ﴿... أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ...﴾ [4] .

والدعوة المرة الواحدة من الدعاء ، وفى الحديث : " فإن دعوتهم تحيط من ورائهم " [5] أي تحوطهم وتكنفهم وتحفظهم ، يريد أهل السنة دون البدعة ، وتداعى القوم : دعا بعضهم بعضا حتى يجتمعوا ، ودعاه إلى الأمير أى ساقه ، فقوله تعالى ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ [6] . ومعناه داعيًا إلى التوحيد وما يقرب منه والدعاة قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة ، وأحدهم داع ، ورجل داعية إذا كان يدعوا الناس إلي بدعة أو دين ، أُدخلت الهاء فيه للمبالغة [7] والدعاء إلى الشئ بمعنى الحث على قصده والدعوة إلى قضية يراد إثباتها أو الدفاع عنها سواء كانت حقًا أو باطلًا وفى ذلك حكاية القرآن عن سيدنا يوسف عليه السلام فى قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ...﴾ [8] ، أى من طاعة النسوة والوقوع فى الإثم ، وكما ورد فى قول الرسول الرسول صلى الله عليه وسلم للأوس والخزرج حين اصطفوا للقتال " أبدعوى الجاهلية و أنا بين أظهركم " ومن الحق قوله تعالى ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ ...﴾ [9] وقوله تعالى ﴿ وَاللَّهُ

١- ابن نظور ، لسان العرب ، جـ٣ ، دار المعارف ، مادة " دعا " ، ص ١٣٨٥ – ١٣٨٩.
٢- مختار الصحاح ، مادة " دعا " ، ص ٢٠٥.
٣- القاموس المحيط ، حـ ٤ ، مادة " دعا " ص ٣٢٩.
٤- سورة الإسراء ، آية ١١٠.
٥- أخرجه الإمام أحمد فى مسنده ، حـ ٣ ، ص ٢٢٥ من حديث أنس رضى الله عنه.
٦- سورة الأحزاب ، آيه ٤٦.
٧- لسان العرب ، جـ٢ ، ص ١٣٨٧ – ١٣٨٩.
٨- سورة يوسف ، آية ٣٣.
٩- سورة الرعد ، آية ١٤.

يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ ...﴾[1] وفى كتابه صلى الله عليه وسلم إلى هرقل " أدعوك بدعاية الإسلام"[2] أى بدعوته ، وهى كلمة الشهادة و إتباع منهج الله ، و لذلك قال مؤمن فرعون ﴿۞ وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴾[3] . فاستبان لنا أن هنا هنا كدعوة إلى الجنة و أخرى إلى النار.

و الدعوة هى المحاولة القولية أو الفعلية و العملية لإمالة الناس إلى مذهب أو ملة وهى الإبتهال و السؤال[4]. فجاء فى المصباح المنير، دعوت الله أدعوه ، و أدعوه دعاءً أي أبتهل إليه بالسؤال و أرغب فى ما عنده من الخير[5] .

الدعوة فى الإصطلاح :

الدعوة هي حث الناس على الخير و الهدى و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ليفوزوا بسعادة الأجل و العاجل و تتمثل فى ثلاثة أنواع هى :

الأول : دعوة الأمة المحمدية جميع الأمم إلى الإسلام .

الثانى : دعوة المسلمين بعضهم بعضًا إلى الخير و تآمرهم فيما بينهم بالمعروف وتناهيهم عن المنكر و يقوم به خاصة الأمة العارفون بأمر الدين و أسرار التشريع .

الثالث : ما يكون بين الأفراد بعضهم مع بعض و يستوى فى ذلك الخاصة و العامة بالدلالة على الخير و الترغيب فيه و النهي عن الشر و التحذير منه[6].

١- سورة يونس ، آية ٢٥.
٢- الشيخ محمد الغزالى ، فقه السيرة ، ص ٣٧٧.
٣- سورة غافر ، آية ٤١.
٤- جمعة امين عبد العزيز ، الدعوة قواعد و أصول ، دار الدعوة ، ص ١٤.
٥- المصباح المنير ، جـ١ ، جـ٢ ، ط ٨ ، القاهرة ، ١٩٣٩ م ، مادة " دعا " ، ص ٢٦٤ – ٢٦٦.
٦- الشيخ على محفوظ هداية المرشدين، طريقة الوعظ والخطابة، ط ٩، دار الإعتصام، ١٩٧٩، ص ١٧.

وقال أخرون هى . نقل الأمة من محيط إلى محيط . تلك هى مهمة الداعية . وفيها يندرج محمل مناهجه و مفصله و من ظنها غير ذلك فقد جهل نفسه و رسالته [1]. ويقول فريق ثالث من العلماء :

إنها الحركة الإسلامية فى جانبها النظري و التطبيقي من حيث بناء الدولة و دفاع عن استمرار وجودها [2] أما الفريق الرابع من علماء فيعرفونها بأنها " برنامج كامل يضم فى أطوائه جميع المعارف التى يحتاج إليها الناس ليبصروا و يستكشفوا معالم الطريق الذى يجمعهم راشدين " [3] . وقام من عنده أهليه الدعوة إلى الله بترغيب الناس إلى فعل الخير و تحذيرهم من الوقوع فى الشر و إنقاذهم مما وقعوا فيه و بيان محاسن الإسلام لغير المسلمين ليدخلوا فيه [4] .

و على هذا فإن الدعوة هى إلتزام بدين الله الذى بعث رسله و أنزل به كتبه و الذين يستجيبون فى هذه الدعوة هم حزب الله . و يقول بن القيم " الدعاة جمع داع . كقاضٍ وقضاة ، ورام و رماة و اضافتهم إلى الله للإختصاص أى دعوة المخصوصين به . الذين يدعون إلى دينه و عبادته و معرفته و محبته و هؤلاء هم خواص خلق الله عند الله منزلة وأعلاهم قدرًا فالداعى إلى الله هو الذى يدعوا الناس بالقول و العمل إلى الإسلام و إلى تطبيق منهجه و إعتناق عقيدته و تنفيذ شريعته " [5] .

تعريف بالكتاب :-

إن الكتاب هو كتاب " حضارة العرب " للمستشرق الفرنسى جوستاف لوبون .

و قد قام بترجمة هذا الكتاب إلى العربية الأستاذ " عادل زعيتر " و طبع الكتاب بمطبعة عيسى البابى الحلبى و شركاه سنة ١٩٦٩ م

١- البهى الخولى ، تذكرة الدعاة ، مكتبة وهبة ، ص ٢٧

٢- د/ رؤوف شلبى ، الدعوة الإسلامية فى عهدها المكي . مناهجها و غايتها ، ط ٢ ، دار الفكر بالكويت ١٩٨٢ ، ص ٣

٣- الشيخ محمد الغزالى ، مع الله ، ط٥ ، دار الكتب الإسلامية ، ١٩٨١ م ، ص ١٧

٤- د/ محمد رجب البيومى ، الدعوة الإسلامية فى ضوء الكتاب والسنة، ط ١، القاهرة، ١٩٩٠، ص ٢٦

٥- جمعة أمين عبد العزيز ، المرجع السابق ، ص ١٤ ، ١٥

و الأستاذ عادل زعيتر من الأساتذة الذين عكفوا على الترجمة إلى اللغة العربية وله باع طويل فى هذا المجال ، فقد كان ضليعًا فى اللغة و أصيلاً فى التعبير بالعربية وفحولة التركيب اللغوي كما قال عنه الأستاذ محمد عبد الغنى حسن . و قالت عنه الدكتورة بنت الشاطئ " أنه الذى رد للترجمة اعتبارها بعد أن هبط بها المرتزقة والمأجورون و صناع الاستعمار الفكري " .

هذا فضلاً عن أنه كان عالمًا فى السياسة و الأدب و الاجتماع كما يقول عنه كامل الشماوى و لهذا كان حامعة وحدها و مجمعًا وحده و هو ظاهرة لا تتكرر فى كل قرن من الزمان كما يقول وديع فلسطين .

و يشيد به كل المثقفين العرب فى أسلوبه و بلاغته حتى إنهم يعتبرونه إمامًا من أئمة البلاغة العرب فى هذا العصر . و عن ترجمته لكتاب حضارة العرب يقول طه الهاشمي من بغداد " .... و الله لو لم يترجم عادل زعيتر تلك المجلدات العربية من أمهات الكتب بذلك القلم السيال البليغ ، واكتفى بترجمة كتاب " حضارة العرب " لجوستاف لوبون وحده لكفاه فخرًا و خلودًا .... و يقينى أن خدمته للأمة العربية تفوق أضعافًا مضاعفة خدمات رجال السياسة و الأدب من أبناء العروبة " .